المجلة الدولية للإتصالالإجتماعي
جامعة عبد الحميد بن باديس- مستغانم
ISSN: 2437 – 1181
EISSN:2710-8139

المجلد 10 / العدد: 02 (2023)، ص 37 – ص 43

تسيير تكنولوجيات الاتصال والعلوم الاجتماعية

مساهمة سوسيولوجية في الحدود والأدوار

The management of communication technologies and social sciences

A sociological contribution to boundaries and roles

الحاج بلهواري*

جامعة عبد الحميد بن باديس مستغانم (الجزائر)، hadj.belhouari@yahoo.fr

تاريخ الاستلام: 2023/02/19 تاريخ القبول: 2023/06/08 تاريخ النشر: 2023/07/01

DOI: 10.53284/2120-010-002-003

الملخص

تعالج الدراسة الراهنة مسألة التسيير في ظل تداعيات الثورة الرقمية وما أفرزته من تحولات جذرية مست الأفراد والمؤسسات.كما تهدف إلى توضيح الكيفية التي يمكن للعلوم الاجتماعية أن تساهم بها في مجال التسيير حتى تخرجه من الدائرة الضيقة.

الهدف من هذه الدراسة هو إعادة فتح نقاش فكري حول قضية قديمة ومتجددة ذات صبغة سوسويولوجية حيث تكتسب أهميتها من المكانة التي تحتلها قضية التسيير في الوقت الراهن سواء الأكاديميين داخل فضاء البحث في ميدان العلوم الاجتماعية من حيث الجوانب النظرية والمنهجية أو على المستوى المجتمعي نظرا لانعكاساته على الأفراد و المؤسسات.

كلمات مفتاحية: التسيير، الاتصال، الإدارة، تكنولوجيات الاتصال، سوسيولوجيا التنظيمات، المؤسسة، الثقافة التسييرية.

Abstract:

This study discusses the issue of management in light of the digital revolution and the radical transformations produced that affected individuals and institutions. Also aims to clarify how the social sciences can contribute to the field of management until it gets out of the narrow circle. The aim of this study is to re-open an intellectual debate about an old and renewed issue of a sociological nature, as it gains its importance from the position occupied by the management issue at the present time, whether academics within the research space in the social sciences in terms of theoretical and methodological aspects or at the societal level due to the repercussions on individuals and institutions.

Keywords: management; communication; administration; communication technologies; sociology of organizations; the institution; managerial culture.

*المؤلف المرسل

1.مقدمة:

صار وقتنا الحالي لحظة مرجعية لإحدى اكبر الثورات التي عرفتها البشرية.فنحن شهود عيان لحدث تاريخي اجتماعي متميز، حيث أصبح الأفراد والمنظمات على حد السواء أمام محيط رقمي متعاملا مع المصنعات و الآلات و المعلومات خاضعا لمعرفة جديدة و التي ستغير حتما من المفاهيم الكبرى التي كانت إلى وقت قريب في مأمن من كل تشكيك أو مزايدة .

فقد أصبحت اليوم مفرغة من مضمونها الأصلي، فمفهوم رأسمال لم يعد كما كان في عهد كارل ماركس يحتكم في تراكمه لا على المناجم و لا على الأرض و لا على الصناعات الثقيلة ولا على الصناعات الإستخراجية، ولكن أضحى عبارة عن بثاث الكرتونية تنتقل عبر الشبكات بملايين الدولارات.

والعمل اليوم لم يبق مرتبطا بمكان أو زمان أو بفضاء اقتصادي،العمل اليوم أضحى عن بعد من خلال الشبكات أو عمليات التفاعل و الإبحار..

فهذا العصر وبفعل تعقد المنافسة الاقتصادية والتطورات التي أحدثتها تكنولوجيات الاتصال في أساليب العمل والتنظيم و تزايد أهمية المعرفة في محيط ديناميكي شديد الاضطراب, بدأ الباحثون يعترفون بالأهمية التي ينبغي إعطاؤها لمفهوم التسيير في سياقاته الجديدة.

هذا المفهوم وعلى غيره من المفاهيم السالفة الذكر قد تغير و أصبح مرتبطا إلى حد كبير بوسائل الاتصال ومخرجات الثورة التكنولوجية تسيير جديد بايقات جديدة تخضع لمعرفة جديدة ويأذن بانبثاق شكل جديد للتسيير و ولادة هوية جديدة للمسيرين(cabin, 1999, p. 379)

ضمن هذا السياق يقر الباحثون بان الثورة الرقمية قد قلبت أساليب التسيير القديمة رأسا على عقب و فتحت المجال لبدائل أخرى جديدة.فالمجتمعات الحالية تشهد نموا متسارعا لأشكال التسيير جديدة مغايرة للأشكال السابقة.

و عليه و عبر هذه التداعيات التي تمثل في اعتقادنا تبريرات سوسويولوجية لمثل هذه الدراسات، حاولنا أن نوجه اهتمام هذه الدراسة نحو مقاربة سوسيوأنثروبولوجية جديدة عبر التساؤلات التالية:

- ما هي بالضبط رهانات هذه التحولات؟ فيما تؤثر على تسيير الإنتاج والأفراد؟
- هل نحن حقيقة نعيش الآن مرحلة القطيعة مع النماذج التسييرية القديمة ؟ و ما هي حدود إسهامات العلوم الاجتماعية في هده المرحلة الجديدة ؟

من اجل فهم جيد لهذه التداعيات على التسيير يجب أولا معرفة الدور الذي تساهم به العلوم الاجتماعية في خضم هذه التحولات.فمن الطبيعي أن تؤدي هذه التحولات في البنيات التنظيمية للمؤسسة إلى استنهاض دور ومكانة العلوم الاجتماعية و الإنسانية لعلها تجد لنفسها إسهاما في إنتاج أشكال تسييرية جديدة.

2. التسيير: من الهندسة إلى العلوم الاجتماعية:

عرف مفهوم التسيير تطورات كبيرة حتى أصبح صورة أخرى من صور صعود العقلانية في العالم الغربي(ماكس فيبر) حيث يقول بيتر دروكر:" لقد كان ظهور إدارة الأعمال بمثابة حدث عظيم في التاريخ الاجتماعي، ذلك أن التسيير بوصفه العضو الذي يستعمله المجتمع في جعل موارده منتجة إنما هو مرآة تعكس روح العصر . (Drucker, 1992)

منذ أوائل الثورة الصناعية والى يومنا هذا لا زال التصور المهيمن على عالم التسيير للمؤسسات والأفراد في معظم الأحوال متسما بالطابع التقني والاقتصادي(نظرية التنظيم العلمي للعمل) والسبب في ذلك يكمن على وجه التحديد في خضوع مهمة التسيير إلى المهندسين والاقتصاديين دون غيرهم حتى و إن استدعت هذه المسالة اهتمامات الباحثين و الدارسين في حقول العلوم الاجتماعية إلا أن الجوانب الإنسانية الصرفة قد بقيت على الهامش حتى لا نقول كانت منسية.

إن الفكرة الداعية إلى اعتماد مقاربة موسعة للتسيير ليست جديدة العهد في تاريخ العلوم الإنسانية بصفة عامة وسوسيولوجية التنظيمات بصفة خاصة إذ شهدت بداية القرن الواحد و العشرين العديد من الدراسات التي دافعت بقوة عن أهميةالأبعادالإنسانية والثقافية والاجتماعية لوظيفة التسيير من جهة ومن جهة ثانية لمواجهة تفتت المعرفة في وقتنا الراهن و لعل إسهامات كل من برودالموس..زمورانموسFbraudelMmauss E morin في توحيد العلوم الاجتماعية والفكرة التي دفعت رواد سوسيولوجية التنظيمات إلى جعل هذه الوظيفة موضوعا سوسيولوجيا بامتياز من خلال التأكيد على أن التسيير لا يقوم على تخصص واحد بل هو عملية مركبة تلتقي فيها مختلف الحقول المعرفية.

فيستحيل على الفرد أن يغطي مختلف جوانب الوجود الإنساني في نفس الوقت لذلك وجدت عدد من التخصصات غير أن روح التخصص كثيرا ما تغفل الجوانب الأخرى من الظاهرة الاجتماعية فتنتج عنها تلك الآفات الفكرية المعروفة مثل الاختزالية ونزعة السيطرة لدى التخصص الواحد و التي يكون من شانها أن تنال من كل مساهمة لفهم حقيقي (شانلا، 2004، صفحة 84)

ولتبرير هذا الطرح يمكن أن نسوق مثالا حيا عن هذه النزعة الاختزالية فقد اعترف ميشال هامر و هو من دعاة إعادة الهيكلة و التي كانت مرادفة لتسريح العمال الواسع النطاق ولضعف المردودية المالية المحققة صراحة انه بالفعل لم يعر الجوانب الإنسانية اعتبارا كبيرا بسبب تكوينه التقني(مهندس) و انه اكتشف هذه الجوانب هي بالفعل حاسمة و عليه يجب على كل من راح ضحية لطريقته أن يقدر قيمة مثل هده الجوانب.

ولمواجهة النتائج الكارثية لإعادة الهيكلة من :تفكك الاجتماعي، بطالة فقر إقصاء أخطار بيئية .... و التي للتسيير مسؤولية فيها و عليه يجب الاعتراف بحتمية إعادة نظرتنا إلى التسيير وذلك بتثمين إسهامات العلوم الاجتماعية (علم الاجتماع علن النفس الأنثروبولوجيا علوم الإعلام والاتصال اقتصاد...)

إن مقاربة التسيير التي نهدف إليها من خلال هذه الورقة البحثية يجب أن تكون متعددة التخصصات ففي هذا السياق يقول ليموج :"إن ما نطالب به ليس القضاء على التخصص و إنما القضاء على الحواجز التي يضعها كل تخصص إمام غيره من التخصصات و بتعاونها من علم الاجتماع اقتصاد فلسفة اقتصاد (Limoges , 1996, p. 148)

ولما كانت مسالة التسيير متعلقة بجميع التخصصات فلا بد أن ندرك بان كل تخصص على حدة لا يمكنه أن يعالج إلا جزء من الظاهرة المدروسة لذلك لا يمكن للتسيير إلا إن يكون تكامليا و المراد بهذه التكاملية هنا تستخدم عبارة برودال "مهما كان عمرها(أو مدى نجاحها)جميع العلوم الإنسانية هي بمثابةCarrefourأو ملتقيات طرق(Limoges، 1996، صفحة 38)وبعبارة أخرى وجهات نظر مختلفة تخص نفس الوقائع الاجتماعية و الإنسانية.

إذن إن التسيير الذي تحاول هذه الورقة البحثية مقاربته هو حقل معرفي مطالب بان يلغي كل الحدود بين مختلف التخصصات و الحقول المعرفية الأخرى كما يقول عالم الأنثروبولوجيا تيرنار "من دون إسهام أفكار جديدة خارجية، لا تلبث كل التخصصات أن تنغلق على نفسها، ومن هنا تؤول نحو الفناء." (Braudel, 1969)

كما يبقى الهدف المنشود من هذه الدراسة هو أن نجعل برامج التكوين التي نلقنها للمسيرين تتجاوز الحدود التي يضعها كل حقل معرفي باعتبار أن مسالة التسيير منفتحة على كل الحقول المعرفية .

3. التسيير و الاتصال: التقاطع و التكامل:

فالحديث عن عقلانية جديدة وحديثة في التسيير يعتمد أساسا على معايير مخالفة لما كانت هذه المهمة في السابق و لعل الاتصال يأت على رأس هذه المتغيرات.

فالقائمون على التسيير مطالبون اليوم بمواجهة التحديات التي يطرحها العالم المتغير.

للتوضيح فان الاتصال الذي نقصده هنا ليس الاتصال كأداة و إنما باعتباره سيرورة متواصلة تجسد التفاعل بين مختلف الفاعلين, سيرورة توجه و تؤطر الأفعال المختلفة الصادرة عنهم و عليه لا يمكن إقامة الحواجز أو الحدود بين الاتصال والإدارة و التسيير.

فالعمل التسييري لا يمكن اختزاله في مجموعة من الإجراءات والقرارات، وإنما باعتباره عملية التفاعل بين مختلف الفاعلين حيث من القصور تصور الاتصال على أساس بعده التقني أو الأدائي فحسب، بل لا بد من النظر إليه من حيث أهميته ودوره كعملية اجتماعية أساسية في تسيير الأفراد والمنظمات.

عالم التسيير اليوم مطالب بمواجهة التحولات التي يفرضها هذا العالم المتغير لان البقاء و الاستمرار أصبحا سيرورة أو عملية تكيف مستمرة لاسيما مع بروز منطق جديد هو منطق اقتصاد المعرفة و المعلومات.

إن التسيير هو معرفة التنبؤ،اتخاذ القرار، التحفيز وتطوير الكفاءات.فالعولمة والثورة الرقمية فرضت على المنظمات إعادة النظر في هذه الثوابت، بداية من أنماطها ,اتخاذها للقرارات و في تصوراتها للمهن...و هذا ما يؤشر على بداية شكل جديد من التسيير القائم التكامل والتثاقف والتجديد collaborative من جهة وتثمين أشكال جديدة للمسيرين من جهة ثانية. (**Bernoux، 2004**، صفحة 109)

هذا التدفق الرقمي والمعلوماتي أنتج أربعة تمظهرات جديدة في عالم المؤسسة: من حيث خلق المؤسسات، تنظيم العمل ،المهن و الوظائف و التسيير.

فالمؤسسة اليوم تخضع لتحديات كبيرة لعل أهمها: العولمة،اللامادية، المرونة، و النوعية. (cabin, 1999)

فالثورة الرقمية طالت المؤسسة ومحيطها:الزبائن، الموردين، المتعاملين...الأمر الذي يفرض علي كل المؤسسات بالتكيف، فداخل المؤسسة نفسها نشهد تغيرا في كل من: المهن(الحرف)الاستعمالات، التبادلات التي أصبحت تقام بطرق مغايرة و بنمط عمل أكثر جماعية, إنها إذن صدمات بالنسبة للمؤسسة, و التي حتما ستؤثر على الإدارة و التسيير و هذا الأخير بدوره مطالب بالتكيف مع الحقبة الجديدة.

يؤكد بيتر دروكر في هذا السياق: إن التنظيم في شكله الجديد يعد منهجية جديدة وضرورة فرضتها عولمة السوق العالمية لتجاوز السلوكيات التقليدية والمفاهيم السابقة في إدارة الأعمال.

فالتسيير حسب دروكر انتقل من نظام يقوم على غزارة القرارات الفوقية و الاستخدام المفرط للسلطة إلى نظام وظيفي يقوم على امتلاك المعلومات و المهارات كشكل من إشكال النجاح .

المحصلة النهائية أنه لا يمكن تجاهل علوم الإعلام والاتصال اليوم في تسيير المؤسسة أو التقليل من شانها فالدور الذي تلعبه في تحسن علاقات العمل من خلال عملية الربط بين مختف المصالح و المستويات أكثر من مهم في هذا السياق لابد أن الإشارة إلى مساهمة غيدنز في التأكيد على محورية الاتصال داخل أي فضاء:"بغض النظر عن الأدوات و التقنيات المستخدمة في العملية الاتصالية، فإنها تعمل على بناء العلاقات بين الفاعليين وتقوي الشعور بالانتماء والولاء وتقلل شعور الفرد بالتهميش." (بوطمين، 2009)

فالاتصال هو حقيقة و نموذج ثقافي معا لان الاتصال يعني النقل و أيضا التفاعل بين الفرد و الجماعة.إن فعل الاتصال يختصر في الواقع تاريخ الثقافي للمجتمع. (Adorno , 1964)

4. عودة الأبعاد الاجتماعية:

بالعودة إلى الدراسات السوسيولوجية حول التسيير، نجد غيابا واضحا للأبعاد الإنسانية والاجتماعية على الأقل في واقع الممارسة.فالمسير وطرق التسيير العقلانية ينقصها الكثير من الأمور التي يستحيل علينا في غيابها القول إننا في مؤسسات اجتماعية.

فحاليا يبدو عالم التسيير عالما فيه ميولا و تفضيلا للعقلانية والامتثال و الانسجام والأداتية والقيم الأممية المجردة وكل ما من شأنه أن يدل على تكنوقراطية يظهر فيها التكنوقراطي كصورة للمسير الناجح و الفعال.

لكن وفي المقابل علينا أن لا نغفل أن هذا العالم لا يخلو من الأهواء و المناورات والدسائس والرغبات المخفية، المخاطرة، السلوكيات المنحرفة كالحسد و الغيرة...بالإضافة إلى المناورات الجامحة في بعض الأحيان.

إن ما تقترحه العقلانية(تايلور، فورد، فيبرفايول..)من معان مؤداها أن التسيير عالم جاد و عقلانية صارمة فالواقع المعاش يشير إلى انه عالم آخر.لذلك يحق لنا أن نتساءل لماذا يرفض عالم التسيير الرسمي أن يترك مجالا أو هامشا لهذه الجوانب الاجتماعية في حياة الأفراد.

إذا كان عالم التسيير يكره كل ما هو طارئ أو غير متوقع و كل ما هو تلقائي(فايول) مضطرب يكشف عن آية حركة في المجتمع، مفضلا النظام والانضباط سواء في الهياكل أو الأدوار المحددة بكل دقة(بيروقراطية ماكس فبير).إلا أن الجوانب الإنسانية قد تحرم التسيير من عنصر حيوي أن لم تعرقله تماما.

مع العقيدة الجديدة للتسيير فالكثير يعتقد جازما انه يكفي أن تمتلك مديرا جيدا لتكون كل الأمور جيدة، و في حالة تعقدت الأمور يكفي قائدا جيدا باجر كبير لإنقاذ المؤسسة بينما المؤسسات الجيدة حسب " ميشال كروزيي"هي التي تمتلك فرقا قوية وأفراد اكثر اندفاعية فالقائد حينها يجب ان يكون قادرا على فهم و استعمال قوة المجموعة والأفراد. (crosier &Frieberg, 1977)

من هنا تتضح محورية الأبعاد و الجوانب الاجتماعية الأمر الذي يجعل تدريس العلوم الاجتماعية بمعاهد و مراكز التسيير حتمية لابد أن تكون متصلا بهذا الواقع، ولا بد أن نتجاوز الطابع التقنو/ميكانيكي لمهمة التسيير إلى الانفتاح على العلوم الاجتماعية بمختلف مشاربها.

إن واقع التنظيمات إنما ينشا ويعاد إنتاجه.ويتغير من خلال التفاعلات الحاصلة بين مختلف الجماعات والأفراد المشكلة له بما في ذلك هؤلاء الموجودين في أسفل هرم ا لتنظيم (crosier و Frieberg، 1977) ، لكن لابد من الإشارة لا يمكن للأفرادأن يتحولوا إلى فاعليين حقيقيين إلا إذا كانو ذوات في نفس الوقت، أي أشخاصا قادرين على التعبير عن ذواتهم بمعنى انخراطهم في ما يفعلون.

في هذا الصدد يشير الآن توران إلى:"أن الذات هي دائما ذات سيئة عصية على القاعدة وعلى الاندماج، ومقاومتها للسلطة هي التي تمكنها من تحويل إثبات وجودها هنا إلى إرادة لان تكون ذات." (شانلا، 2004، صفحة 95)

ففي أدبيات سوسيولوجيا الفهم لماكس فيبر فانه لا يمكن لأي وصف للمهام ولا لأية كيفية و لا لأي مقتضى شكلي مهما كان أن يصف بشكل موضوعي واقع العمل أو أي نشاط كما هو معاش فعلا، إن ما يفكر فيه القائمون على التسيير في مكاتبهم(خبراء، متخصصون، إطارات قيادية... إنما تعاد صياغته بشكل من الأشكال في أذهان الأفراد المكلفين القيام بالمهام باعتبار أن واقع العمل هو دائما متميز وغير ثابت يصعب التنبؤ حوله.

لقد أضحى المسير إحدى الشخصيات المركزية في المجتمع المعاصر كما إن الحياة الخاصة بدورها لم تنج من هذا الاتجاه السائد. حيث لم يعد الفرد يعبر عن وجدانه، و إنما مضطر إلى إدارته مثل وقته وعلاقاته وصورته، بل حتى هويته، فهذه النزعة التسييرية كنظام لوصف العالم و شرحه و تفسيره انطلاقا من مقولات تسييرية قد صارت معطى حقيقيا في التجارب الحياتية للمجتمعات المعاصرة، إنها النتيجة المباشرة لمجتمع يحكمه المسيرون الذين يسعون لعقلنة جميع جوانب الحياة الاجتماعية.

و في الأخير لعل أحسن استشهاد يمكن الاستعانة به لتأكيد محورية العلوم الاجتماعية و الإنسانية في مجال التسيير هو ما كتبه ميشال كروزي:"إن المسيرين عندما يريدون اتخاذ قارا حاسما أو صعبا، فإنهم يركبون الطائرة أكثر مما يستعملون البريد الإلكتروني....فالتسيير حاليا ليس مختلفا على ما كان عليه قبل قرن,فالمواضيع مختلفة لكن طريقة اتخاذ القار لم تختلف، فليس الحواسب هي التي تقرر ."

5. خاتمة

إذن بالعودة إلى التأكيد على محورية هذه الأبعاد إنما نريد أن نؤكد على أن التسيير يتجه اليوم إلى مقاربة جامعة متكاملة تشمل مختلف الأبعاد الاجتماعية ، ذلك أن النزعة التقنية للتسيير تمثل بحد ذاتها خطرا على المؤسسات و الأفراد معا.

فتاريخ الرأسمالية يعلمنا انه متى انتصر المنطق المالي و الاقتصادي على المنطق الاجتماعي في مرات عديدة ومتكررة عبر العصور دخلت المجتمعات منطقة خطر و أزمات عديدة.ففي اعتقادنا أن هذه الحقول المعرفية لو توفرت لها فرص التفاعل والتكامل فإنها قادرة على تفسير ما يحدث في عالم التسيير، وحين يحدث الانفتاح حولها ستحدث القطيعة بين ذلك التصور القائم أساسا على الاعتبارات الأداتية وبين التسيير القائم على التكامل والتثاقف بين الأبعاد السوسيو ثقافية للأفراد والمنظمات.

بتعبير" ليفي ستروس " سوف يكون القرن الواحد و العشرين قرنا العلوم الاجتماعية أولا يكون.

6. قائمة المراجع

- Adorno , T. (1964). L'industrie culturelle . communication(03
- Bernoux, P. (2004). sociologie du changement dans les entreprises et les organisations .Paris: Éditions du Seuil.
- Braudel, F. (1969). écrits sur l'histoire. paris: Flammarion.
- Cabin, P. (1999). l'avenir incertain de la gestion, les organisations !état des savoirs. Sciences Humaines.
- Crosier, M., & Frieberg, E. (1977). L'acteur et le système. paris: seuil.
- Drucker, P. (1992). l'organisation en analyse. Paris :puf.
- Limoges , C. (1996). les sciences humaines :plaidoyer pour une libre circulations. les presses de l'université Laval.
- Jean-Francois Chanlat. (2004). Social sciences and business administration, a call for a comprehensive anthropology. Algeria: Dar Al Kasbah for Publishing.
- - Lily Botmin. (2009). Communication and corporate culture. Publications of the Center for Research in Social and Cultural Anthropology. crasc.

- جان فرانسوا شانلا. (2004). العلوم الاجتماعية و إدارة الأعمال، دعوة من أجل اعتماد أنثروبولوجيا شاملة. الجزائر: دار القصبة للنشر.
- ليلي بوطمين. (2009). الاتصال وثقافة المؤسسة. منشورات مركز البحث في الأنثروبولوجية الاجتماعية والثقافية.**crasc**.